منصور الأطرش

أكرم الحوراني

أوراق من ذاكرة التاريخ













منشورات الطليعــة
1997

أكرم الحوراني

أوراق من الذاكرة

منصور الأطرش

1996

تكرم العماد مصطفى طلاس بإهدائي مذكرات أكرم الحوراني وهي تقع في أربع مجلدات ويبلغ عدد صفحاتها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثاً وأربعين صفحة يضاف إليها في كل مجلد ملحق للصور من تلك الفترة التي يتحدث عنها. ونشرت مكتبة مدبولي القاهرية هذه المذكرات وهي مكتبة مشهورة جداً وكل من يقصد القاهرة للتفتيش عن الكتب النادرة يقصدها. باشرت بقراءة المجلد الأول ووجدته ممتعاً من حيث إنه يروي أحداثاً تاريخية لم يشهدها جيلنا. ويتحدث أكرم الحوراني عن طفولته وشؤون ذويه بلغة قصصية سهلة ولا يفوته أن يسجل الأحداث البارزة ونص الخطابات التي قالها زعماء وطنيون في مناسبات نضالية مثل فوزي الغزي وصالح قيناز. وهذه في رأيي مساهمة جليلة يشكر عليها المرحوم أكرم الحوراني لأننا لا نملك الوسيلة ولا الوقت للاطلاع على ما قاله أولئك الزعماء الذين صمدوا في مواقعهم متحدّين الاستعمار والهيمنة الأجنبية. ويسعد المرء أن يرافق المسيرة النضالية السياسية التي تزوده بالدليل على أن الشعب العربي في سورية مثلما في غير سورية لم يستسلم لمحاولات الهيمنة والسيطرة على مقدراته، فهو في كل زمن يقدم إلى ساحة الكفاح رجالاً مؤمنين بعدالة قضية أمتهم العربية. وقد أخذ هذا الكفاح تارة شكلاً مسلحاً وأخرى سياسياً وإن كان السلاح لا يشهر إلا بعد أن تفشل السياسة أي الحجج والآراء المسالمة. وهذا لا يعني غياب الحزم والصلابة، فالجدال دفاعاً عن القضية بالتي هي أحسن يأمر بها الكتاب الكريم، كما يأمر بإعداد القوة عند مقتضاها.

إن هذه المذكرات قيمة جداً إذ تروي تاريخ سورية السياسي منذ مطلع القرن [العشرين] وهي بحق مرجع هام لكل الذين يتقصون التحولات السياسية التي حدثت في الحقب المختلفة: الكفاح المسلح، المهادنة في بعض الأوقات، التعاون مع الانتداب من قِبَل البعض، المناورات السياسية بغية فضح ادعاءات الدولة المنتدبة، تذبذب بعض الوطنيين بدوافع مصلحية.

إن نشأة أكرم الحوراني السياسية كانت نشأة طبيعية من حيث إنه عاش في وسط اجتماعي محافظ وفيه تفاوت في الثروة يطل الظلم من ثناياها. فالوجهاء من أبناء الشعب لم يرضوا بأن يحشروا في حيّز معزول عن الحياة العامة. ولعل رتابة الحياة المحافظة دفعت البعض منهم إلى التطلع نحو حياة جديدة يقودها الجيل الشاب، فكانت حركة الشباب التي استوحت الكفاح الوطني والكفاح الاجتماعي ضد التعسف الإقطاعي. ولم يكن غريباً قط أن يولد مثل هذا الوعي في مجتمع تزداد فيه الفوارق حتى تطغى على الصلات الطبيعية بين الفرقاء في مدينة واحدة. فحركة الشباب هي حركة ترفض إبقاء ما كان على ما كان؛ هي مع التجديد، هي تعادي من يحتكر العمل العام والادعاء بأنه وحده يستطيع أن يفهم المشكلات الاجتماعية ويستطيع حلّها. أكرم الحوراني جذبته حركة الشباب وعلى الأخص بعد أن أكمل دراسته الجامعية في معهد الحقوق في دمشق. ولا بد لإقامته في دمشق من أثر في تكوينه السياسي. فقَبْلَ معهد الحقوق تابع دراسته في مكتب عنبر والتقى بشباب آخرين لهم رؤى جديدة في السياسة والمجتمع.

أنا شخصياً أذكر أنني رأيت أكرم الحوراني في فندق أمية في المرجة إبان أحداث ١٩٤٥ والعدوان على دمشق. وقبل ذلك بسنتين، عندما كنا نخرج في تظاهرات طلابية من مدرسة اللاييك ونلتقي مع طلاب التجهيز، كنا نسمع بما يردده كبار الطلاب عن موقف أكرم الحوراني من المسائل السياسية المطروحة وهي تتعلق دوماً بالكفاح من أجل الاستقلال الناجز وتسليم جميع مقدرات البلاد إلى أهلها. ويروي أكرم الحوراني تفاصيل واسعة عن أوضاع البلاد وما تتداوله الأطراف من مطالب وطنية وردود مضادة.

ولا أريد أن أرافق أكرم الحوراني في كل مراحل حياته السياسية لأني في هذه الحال سوف أقع في ورطة كبيرة، إذ يتحتم عليّ أن ألخّص هذه الصفحات التي تزيد على

ثلاثة آلاف صفحة. لكن بغيتي أن أسجل بعض الانطباعات التي ظهرت لي من خلال الاطلاع على تفاصيل الأحداث التي زامنتُها ولم أكن عالماً بخفاياها، على الرغم من أني كنت نائباً وعضواً في القيادة القطرية لحزب البعث. وهذا التصريح طبعاً سوف يثير فضول الكثيرين ولسوف يدفعهم لتحميل القيادة الحزبية مسؤولية القصور في عرض المشكلات على حقيقتها بلا لبس ولا غموض لما لهذه السياسة من أثرٍ عميق في تربية القواعد الحزبية وإعدادها لحمل المسؤولية السياسية والحلول في المواقع الحزبية كلّ حسب مؤهلاته واطلاعه وفهمه لروح العمل العام والاهتمام بالشأن العام.

لا يخفي أكرم الحوراني معاناته من مزاجية ميشيل عفلق وتصرفاته التي تنمّ عن عدم ارتياحه لدمج الحزبين. فأكرم الحوراني يروي وقائع كثيرة عن تصرفات الأستاذ ميشيل الفردية ليثبت لنفسه ولغيره أنه هو زعيم الحزب وأن الكلمة الأخيرة له في كل ما يعترض الحزب من سياسات أو ما يقدم عليه الحزب من مبادرات. والأستاذ أكرم لا يوفّر صلاح البيطار فيشمّله بما يتهم ميشيل عفلق به. فهو إما مؤيد له مسبقاً في الرأي وإما قابل بما انفرد به ميشيل. وحصيلة كل ذلك بروز عدم الانسجام في القمة. ويؤكد الأستاذ أكرم أنه كثيراً ما قبل هذه التصرفات «الكيدية» ستراً لظهور الانقسام؛ وكأنه يبدي الحرص الشديد على استمرار وحدة الحزبين. وفي اعتقادي أن أكرم الحوراني كان يحرص فعلاً على وحدة الحزبين لأنه كان الأكثر فاعلية في القيادة التاريخية؛ فبينما كان ميشيل عفلق يكتفي بإطلاق الشعارات والرأي غالباً في صفوف الحزبيين، كان أكرم الحوراني هو الذي يفعّل المواقف في الرأي العام وفي صفوف السياسيين الآخرين في الأحزاب المناوئة له. فأكرم الحوراني شديد الثقة بنفسه وكذلك شديد الثقة بأخصائه، وهم كانوا منقادين له، يؤيدون آراءه ويدافعون عن سياساته، فلا يظهر إلى الناس أيّ تعبير عن موقف الحزب إلا ما يروّجونه في الأوساط التي انبثوا فيها. فثقة أكرم الحوراني بأن ما يريده هو سوف ينتشر بين الناس، ولسوف يضرب الناس صفحاً عما قاله أو صرّح به ميشيل عفلق، لأن ميشيل عفلق كان يقول وما من أحدٍ يحمل آراءه إلى الأوساط الجماهيرية والشعبية، بل يتلقف مريدوه ما يقول ليكون مبرراً للهجوم على أكرم الحوراني وجماعته ونقدهم واتهامهم بشكل سطحي بأنهم يخالفون سياسة الحزب وأنهم سياسيون لا عقائديون، كما درجوا على وصف جماعة الحزب الاشتراكي قبل الدمج.

في حدود علمي واطلاعي، لم يكلف الأستاذ ميشيل نفسه زيارة صحيفة «الرأي العام» ولو مراتٍ قليلة. وقد يكون صلاح البيطار فعلها مراتٍ جد قليلة. لكن أكرم الحوراني كان يزور رئيس التحرير كل مساء فيتزوّد بكل الأخبار ويتناقش معه في ما تعني ويجريان تحليلاً مستفيضاً ويخرجان برأي ضمن مقال أو خبر مقتضب يلائم الحال. ولا أشك بأن أحمد عسة كان سيستثقل حضور ميشيل عفلق إلى الجريدة لأنه بطيء الحركة وبطيء الرأي والكلام. أما صلاح البيطار فقد عمل في الصحافة ويعرف متطلباتها ومع ذلك فلم يكن مقبلاً على أحمد عسة وجريدته لأنه كان يفضل الاهتمام بجريدة الحزب. لكن جريدة الحزب لم تكن مقروءة كما كانت جريدة «الرأي العام».

كان نشاط الحزب البرلماني محتكراً، يحتكره أكرم الحوراني، وهذا ما يظهر واضحاً في مذكراته العتيدة. ففي كل مسألة مطروحة للنقاش لا نجد أثراً لغيره، اللهم إلا من اختار هو أن ينطق باسم النواب. فكان هو يرتب الأمور مع من يريد ويختار، ولا أذكر أننا نظّمنا عمل الجماعة البرلمانية كما تقتضيه الأصول فأكرم يفاجئنا بطرح الأسئلة على الحكومة كما يفاجئنا بالرد عليها. ونحن طبعاً لا نعرف مسبقاً ما يجب أن نكون عليه، وإن كنا لا نعارض أبداً علنياً. كان أكرم بلا شك يتشاور مع أبرز معاونيه: الأستاذ خليل كلاس وعبد الكريم زهور، وهما أبرز نواب حماة، وعن جدارة أبرز نواب البعث. فخليل كلاس واسع الاطلاع في ميدان القانون وهو محام لامع ولغته العربية فصيحة ونطقه بها سليم؛ وكذلك عبد الكريم زهور فهو مثقف ماركسي، ومختص في تدريس الفلسفة، وهذا يعني سعة التفكير وقوة الحجة، وهو أيضاً ضليع في اللغة العربية لكن إلقاءه وأسلوبه في الكلام فيهما بعض الغرابة، فهو يمط الكلام في كثير من المقاطع وربما كان لمهنته كمدرّس أثر في ذلك. وبالإضافة إلى هذين الأخوين كان عبد الهادي عباس يعمل بجد في تقديم بعض الدراسات المتعلقة بالعلاقات الفلاحية والزراعية، ولا أعتقد أنه من بين المستشارين الذين كان يعتمدهم أكرم الحوراني. أما باقي النواب من حماة وخان شيخون والسويداء والمعرة ودير الزور فكان جل اهتمامهم ملاحقة قضايا ومطالب ناخبيهم. وقد فاتني أن أذكر الدكتور وهيب الغانم، وفي اعتقادي أنه كان مقرباً من أكرم وربما كان له نصيب من المشاورات وعلى الخصوص بعد أن رشحه أكرم إلى المنصب الوزاري. وفي كل الأحوال فإن وهيب الغانم كان يتمتع بمزايا لا يجوز تجاهلها، إلا أنه لم يكن ليوحي

بالثقة في الأوساط الحزبية، على الرغم من ثقافته الحزبية والأدبية.

ومن الواجب أن أبحث عن موقعي أنا بعد أن حاولت رسم صورة أقرب ما تكون إلى واقع مجموعة نواب البعث في برلمان ١٩٥٤ـ ١٩٥٨. كنت ألاحق مطالب كل من يلجأ إلى الحزب في عرض ظلامته حتى لو لم يكن من الجبل، ولاسيما قضايا العمال إذ كنت أصرف جهوداً مخصصة لمكتب العمل في الحزب بالإضافة إلى كثير من القضايا التنظيمية في مختلف التشكيلات الحزبية في القطر السوري. وأستطيع التأكيد أن عدم الظهور على الساحة البرلمانية يعود لأسباب ذاتية وأخرى بسبب قصور الجماعة البرلمانية عن العمل بروح جماعية، وعدم الاهتمام بتربية البرلمانيين الشباب وصقل مواهبهم للمستقبل.

ملاحظات عامة حول مذكرات أكرم الحوراني

يحرص الأستاذ أكرم الحوراني على تحديد موقفه من بعض المسائل الكبرى التي يختلف فيها رأيه عن رأي رفيقيه ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وهذا الخلاف يتناول السياسة الداخلية في الحزب كما يطال السياسة العامة الدولية والعربية.

ففي السياسة الداخلية في الحزب يتهم الحوراني رفيقيه بالقيام بأعمال تفضح موقفهما من دمج الحزبين، وهما يتبعان سلوكاً لا يفضي إلى تمتين الدمج ورص الصفوف؛ فهما أبداً حريصان على بقاء التمايز.

ويتهم عفلق بصورة خاصة بالسعي إلى الظهور بأنه هو لا غيره صاحب الكلمة الأخيرة في أي موقف يتخذه الحزب، وأنه كان يتحسس من أي ذكر للحوراني في أي مبادرة سياسية، سواء كانت تصريحاً في الصحف أو لقاء مع السياسيين.

وقد عانى الحوراني كثيراً من هذا الموقف لكنه أوصى نفسه بالصبر وترك للأيام أن تهيئ المناخ الملائم للعمل المشترك المنسجم.

كان الأستاذ أكرم الحوراني مسكوناً برفض أي خطوة تدل أو تشير إلى التقارب مع العراق، لأنه يعتقد أن مثل هذه الخطوة هدفها الإيقاع بالنظام الجمهوري في سورية، ودفع سورية إلى أحضان الهاشميين المرتبطين ارتباطاً مصيرياً بسياسة الاستعمار الغربي.

فالكلام عن اتحاد سورية والعراق سابقاً، بعد سقوط حسني الزعيم، ومجيء حزب الشعب إلى السلطة هو مؤامرة على استقلال سورية ونظامها الجمهوري، ولاحقاً هو زج لسورية، بسبب أي تقارب مع العراق، في سياسات الأحلاف الغربية التي تهدف إلى تكبيل الشعب العربي في كل أقطاره بقيود تجرده من كل فرصة للتحرر واتباع سياسة قومية لمصلحته وليس خدمة للآخرين.

والأستاذ الحوراني يتهم الأستاذ جلال السيد بصورة خاصة بموالاته لهاتين السياستين. فجلال السيد عارض الدمج، وكان الدمج سبباً في ابتعاده عن الحزب. كما أن جلال السيد بارتباطه العشائري والطبقي، شديد الصلة بالرجعية السورية. فجلال تربطه بالعشائر رابطة قوية ولذلك فهو مهادن لهم ولا يعمل لتبديل القوانين التي تنتزع منهم الملكيات الواسعة، وتحدّ من هيمنتهم على الفلاحين وأفراد عشائرهم. بالإضافة إلى أن جميع العشائر السورية مرتبطة، إما بالسعودية التي تجزي لهم العطاءات وإما بالعراق الذي يسخّرهم لمشاريعه الاتحادية التي تحمل الأكبال والقيود للشعب العربي. وغالى الأستاذ الحوراني في النظر إلى كل تقارب مع السياسة العراقية، فرأى في ذلك مؤامرة؛ وحتى في أيام مقاومة الديكتاتورية الشيشكلية فإنه اتهم السوريين الذين مدوا يدهم إلى العراق بأن هدفهم الأساسي ليس التخلص من الديكتاتورية بل تحقيق الاتحاد المشبوه. ولا أدري كيف يلتقي الأستاذ الحوراني مع أديب الشيشكلي في هذا الموقف! وقد عجبت من قول الأستاذ الحوراني إن الشيشكلي كان شريفاً وكان وطنياً.

إن التقاء الحوراني والشيشكلي في هذه النقطة يعود حسب قناعتي إلى أن كلاًّ منهما طامع في السلطة، وفي أقصى مراتبها. فالشيشكلي استعجل الأمر واستولى على رئاسة الجمهورية، وقد يكون فعل ذلك مخافة أن يسبقه أكرم الحوراني إليها، لأن الكثيرين يعتقدون أن البعاد بين الحوراني والشيشكلي يعود إلى هذا التزاحم الخفي، هذا التنافس على حكم سورية حكماً مطلقاً.

ولم ينفصل الحوراني عن الشيشكلي إلا بعد أن يئس من تجنيده لمصلحته، ووضعه تحت قيادته وأمره، فتوجه عندئذٍ إلى حزب البعث لدمج الحزبين؛ وقبل اليأس لم يحاول الحوراني أن يدنو من قادة حزب البعث وبقي بعيداً عن العمل المشترك.

إن بقاء سورية على حجمها الطبيعي يسهّل حكمها، إذ ليس فيها من الأسر الحاكمة

واحدة يدين الناس لها بالولاء، بينما تشكل الأسرة الهاشمية مرجعية شرعية في نظر الناس إذا ما حكمت العراق وحده أو بعد اتحاده مع سورية. ولذلك فإن معارضة الاتحاد بين سورية والعراق لم تكن خالصة لحماية النظام الجمهوري في سورية. أما التعلل بالمعاهدة التي تربط العراق بإنكلترا فهو تعلل ضعيف. إذ إن مصر التي تربطها بإنكلترا معاهدة مماثلة من حيث الحضور الأجنبي على التراب الوطني استطاعت أن تجعل هذا الحضور مؤقتاً ومقلقلاً بفضل نضال شعبها وصمود قادتها. وليس مستحيلاً أن ينهض الشعب في كل من سورية والعراق ويجبر إنكلترا والفئة الحاكمة على الجلاء التام في مستقبل الأيام.

وقد يقول البعض إن حذر أكرم الحوراني من الاتحاد بين سورية والعراق سببه جمع القوى الرجعية إلى بعضها وإضعاف القوى التقدمية. لكن الحوراني كان يشيد دوماً بالاستنفار الجماهيري والاستعداد لخوض معركة التحرير من كل القيود، لا سيما أن لقاء القوى يعمل لمصلحة الرجعية مثلما يعمل لمصلحة القوى الشعبية. ومهما تعاظم التعسف الرجعي فإن الصلابة الشعبية على قدر المهمة في التصدي له.

وبودي أن أضيف أن الحوراني الذي جعل من النظام الجمهوري حجة لإبطال كل خطوة اتحادية بين سورية والعراق قد عاش حتى رأى هشاشة هذا النظام الجمهوري! (...).

أما موضوع الاشتراكية التي يرى الأستاذ أكرم أنها لا تعطى أهميتها اللازمة من زميليه البيطار وعفلق، فمن الحق أن نوافقه على هذا القول. فالحوراني يرى أن نشأة حزب البعث بين صفوف الطلاب والأساتذة والمثقفين لا تعبّر عن الاشتراكية ولا تعطي الميزة الأساسية لهذه الحركة التي تجذب الجماهير. بينما نشأة العربي الاشتراكي بين الطبقات الشعبية وبالأخص بين الفلاحين المضطهدين تصبغ الحركة بلون الاشتراكية الزاهي، وتدل على غاية الحركة السياسية ألا وهي تحرير الفلاحين من السيطرة الإقطاعية، ووضع مستقبل السلطة في أيدي الطبقات الفقيرة صاحبة المصلحة في إدارة شؤون البلاد لأنها الأكثرية الساحقة.

إن كل التقدميين في الوطن العربي الذين يعتقدون بانتصار الاشتراكية الحتمي على يد الاتحاد السوفياتي قد خاب أملهم، ربما بالاتحاد السوفياتي لا بالاشتراكية نفسها.

لكن من أين للبشرية فرصة أخرى وتجربة أخرى أوسع وأضخم من تجربة السوفيات الاشتراكية، لترى إذا كانت العلة في الاشتراكية نفسها، في المبدأ نفسه أم في العمليات التطبيقية التي لم تحرص على حسن التنفيذ وأمانة المبدأ؟!

إن الهجمة الرأسمالية الجديدة سوف تزيد من مظالم الرأسمالية وسوف يزداد الفقراء فقراً، ولسوف يزداد الأغنياء غنى. وها هي الشركات الكبرى في العالم تتحد وتزداد سيطرتها على الأسواق وتزداد بالمقابل حراجة الوضع في صفوف المستهلكين، وبالتالي ينتشر العوز وتتدنى سوية العيش، وبالتالي سوف تعود البشرية إلى التفتيش عن وسيلة للوقوف في وجه هذا العزل الذي لا يشبع. وقد تكون الوسيلة هي العودة إلى التبيشر بمبدأ الاشتراكية. والخير كل الخير للبشرية أن تنطلق من القاعدة السابقة للاشتراكية أعني الاتحاد السوفياتي، لأن التجربة الفاشلة الأولى لها نصيب كبير في التصحيح.

إن الإنسان يجب أن ينطلق في طموحه من أجل الحياة الكريمة، من مبدأ الكفاية لا من مبدأ الرفاه. والصلاة المسيحية في شكر الباري عز وجل تقول: «أعطنا خبزنا الجوهري كفاف يومنا». وهذه القناعة تمثل مبدأ إنسانياً يطمح إلى التساوي مع كل الناس. فالعيش الكريم هو غاية سامية وهو مناخ إنساني ينفي النزعة إلى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

منصور سلطان الأطرش

تأبين أكرم الحوراني

إخوتي في الوطن العربي
السيدة أم جهاد
أيها الحفل الكريم

من الوفاء أن نتحدث عن أكرم الحوراني ودوره في حياة أمتنا العربية بصورة عامة وفي

حياة سورية السياسية بصورة خاصة. وقد لا نكون من آقرب الناس إليه، ولا من الذين يتفقون معه في الرأي حول قضايا الأمة العربية، إلا أن ميدان الحياة العامة قد جمعنا فالتقت جهودنا مرات كثيرة وتنافرت أخرى، لكنا بقينا في مستوى المهمة القومية والغاية الوطنية من العمل في ميدان السياسة. فالتقاء الآراء وتنافرها في الممارسة السياسية يشكلان الدورة الدموية اللازمة لاستمرار الحياة العامة أولاً، ولاستمرار الرأي العام الشعبي متفاعلاً معها ثانياً. وهذه النتيجة هي الغاية الوطنية التي بدونها تكون السياسة عبثاً ولهواً، لا بل تكون إثماً، ويكون السياسيون متحالفين عن وعي أو غير وعي، مع عوامل التخلف والإحباط التي تعوق تقدم الأمة في المضمار الحضاري.

أيها الحفل الكريم

إن حياة أكرم الحوراني قد شغلت بال كل الناس، خصومه، ومؤيديه. فهي قد شملت كل اهتمامات الرأي العام؛ من الوحدة العربية والاشتراكية، مروراً بالكفاح ضد الاستعمار الغربي أو صداقة المعسكر الشرقي وحتى العيش اليومي للمواطنين. ولذا فإن حياة أكرم الحوراني السياسية لم تكن عبثاً أو لهواً، وقد أفلح أكرم الحوراني في تبسيط قواعد النضال ضد الإقطاع الذي ساد في قسم من ريف سورية، حيث ساد.

فهو قد أمسك الثور الهائج من قرنيه، فابتعد عن الإغراق في التنظير في هذا الصراع؛ فبالنسبة إليه كل فلاح هو عضو في الحزب وكل إقطاعي هو خصم للحزب. كل فلاح له الحق بالبطاقة الحزبية وكل فلاح حليف للحزب في كل موقف يوهن الخصم الإقطاعي.

هذا الأسلوب المباشر ميّز حزب أكرم الحوراني وقدمه على حزب البعث العربي الأول الذي عني بانتقاء أعضائه من المثقفين والمجادلين بالنظريات السياسية والاجتماعية. ومن هنا كان دمج الحزبين أمراً محتماً. ومهما تذرع البعض بهذا الدمج لتغطية الخيبات اللاحقة التي حصدها الحزب، فإن هذا الدمج ألزم الحزب الجديد بقضية العمال والفلاحين بصورة فعلية وحية. ولم يعد ذا أهمية الخوض في بعض النواحي السلبية التي سببها انتساب جماعات لا تتمتع بوعي أولي لدور الحزب الطليعي في مجتمع متخلف كمجتمع الخمسينيات.

أيها الحفل الكريم

رحل عنا أكرم الحوراني كما رحل قبله رفاقه ميشيل عفلق وصلاح البيطار وجلال السيد. ولحسن حظهم فإن الوطن العربي فسيح الأرجاء؛ فإذا كتب لجلال السيد أن يضمه تراب سورية، فإن ميشيل عفلق وصلاح البيطار قد ضمهما تراب العراق العزيز؛ وها هو أكرم الحوراني يرقد في أرض عربية، في الضفة الشرقية من نهر الأردن، في مواجهة القضية التي حارب بالسلاح من أجلها والتي يتجدد الصراع فيها وعليها.

هنيئاً لهم جميعاً! وأي شرف نالته هذه القيادة التاريخية التي حلمت في حياتها أن تربط أجزاء هذا الوطن، هذا المشرق العربي، بعضها ببعض، فلم تفلح، وها هي تتشبث بأرض الوطن، كل في جدثه، لترنو للأمنية الكبرى، أمنية الوطن الواحد. وكأن القدر الذي قسا عليها يوماً قد كان رحيماً بها إذ أنصف في توزيع أفرادها على هذا الشكل لتبقى قضية الوحدة العربية حيّة في نفوس الذين يتحدثون عن سيرتهم ولا ينسون كفاحهم من أجل مبدأ وحدة الأمة العربية.

هذه القيادة التاريخية تحملت كثيراً من الظلم، من أبناء الحزب ومن غيرهم. لكن هذه القيادة التاريخية ستبقى في موقعها التاريخي مهما تطاول عليها المتطاولون، ولنذكر أن مهمتها الأولى كانت قلع الأشواك، لا زرع الرياحين. الأشواك وما أكثرها، والوخز وما أوجعه! أدمى الوخز جنباتها وهي ملتحمة، وأدمى الشوك جباهها وهي منفردة متفرقة لكنها أبقت راية القومية العربية خافقةً؛ وإن نكست الراية فلم تنكس على يدها. نكسها آخرون، من حزبها أو من غير حزبها.

أيها الإخوان الكرام

إذا كان من الوفاء أن نتحدث عن سيرة أكرم الحوراني ونضاله، فإنه من الإنصاف أن نشير إلى بعض المواقف التي ندد بها بعض خصومه.

قد لعب أكرم الحوراني دوراً هاماً في تحقيق الوحدة بين سورية ومصر، وأكد هذا الدور بتأثيره المباشر على نخبة من الضباط الذين تربطهم روابط قوية بحزب البعث العربي الاشتراكي بصورة عامة، وبه شخصياً بصورة خاصة.

وأكرم الحوراني نفسه هو الذي أشاع في نفوس العديد من الشباب التقدميين القناعة بأن الوحدة السورية ـ المصرية قد فشلت لأنها لم تراع المناخ الديموقراطي الذي قام في سورية بعد إزاحة النظام الديكتاتوري الذي ساد قبل سنة ١٩٥٤. ومن هذا الموقف تولدت انقسامات كثيرة في الصنف القومي العربي، ما زالت آثارها تتفاعل حتى يومنا هذا، إلى الحد الذي أصبحت فيه كل محاولة وحدوية بين أي قطرين عربيين غير مقبولة بلا شرط الديموقراطية.

ونحن وإن كنا لا نقبل بأي شرط على تحقيق الوحدة بين قطرين عربيين، غير التقاء إرادة شعبي هذين القطرين، بأي شكل ظهر هذا اللقاء وتحقق، فإننا نعي الأسباب التي أودت بالتجربة المصرية ـ السورية والتي لم تكن كلها مبررة ولا بريئة.

وإذا تجنبنا الغوص في سرد وشرح كل أسباب تلك الخيبة، فإننا نرجح أن جمع الضعفاء لا ينتج قوة نوعية. وما دامت هذه القوة النوعية لم تنمُ في نفوسنا، ولم تستند إليها صفوفنا، فإن الوحدة لا تقوم، ولا تصح.

ولذلك أقول من الظلم أن ننسب إلى أكرم الحوراني وحده مسؤولية الانفصال الذي وقع سنة ١٩٦١؛ فالمسؤولية يشترك فيها أطراف عديدون. ومن الخير لنا أن نكف عن الاتهامات ونتجند لما هو أجدى وأنفع لنهضة أمتنا ومستقبلها، ولنتخذ من مثل الوحدة الأوروبية ومراحلها مبدئياً عبرة، فقد نجد في النهج المتبع ما يفيد مشروعنا الوحدوي.

أيها الحفل الكريم

في الزمن الذي نعيش فيه يكثر الحديث عن الديموقراطية وحقوق الإنسان، حتى أن البعض يعتقد أن أحزابنا لم تمارسها قط، ولم تدافع عنها بل سادت زعامة الفرد على تلك الأحزاب.

كلا ثم كلا!

لم يقرّ حزب البعث العربي الاشتراكي لأي من القادة التاريخيين بالزعامة المطلقة. بل كنا في القيادة سواسية، ولم يكن الرأي يقيّم لقائله بل لذاته وجوهره. وكانت القيادة

تلك تحترم رأي الجماعة وتنمّي روح المسؤولية في الحزبيين المؤهلين لها.

إذا كان الحزب لم يقر لأحد بالزعامة داخل تنظيماته وتشكيلاته، فإن الجماهير في الشارع أقرت لأكرم الحوراني بالزعامة، وهو الوحيد، بين القيادة التاريخية، الذي تمتع بهذا الموقع، فهو ابن حماة حيث استفحل الانقسام واشتد الصراع الاجتماعي.

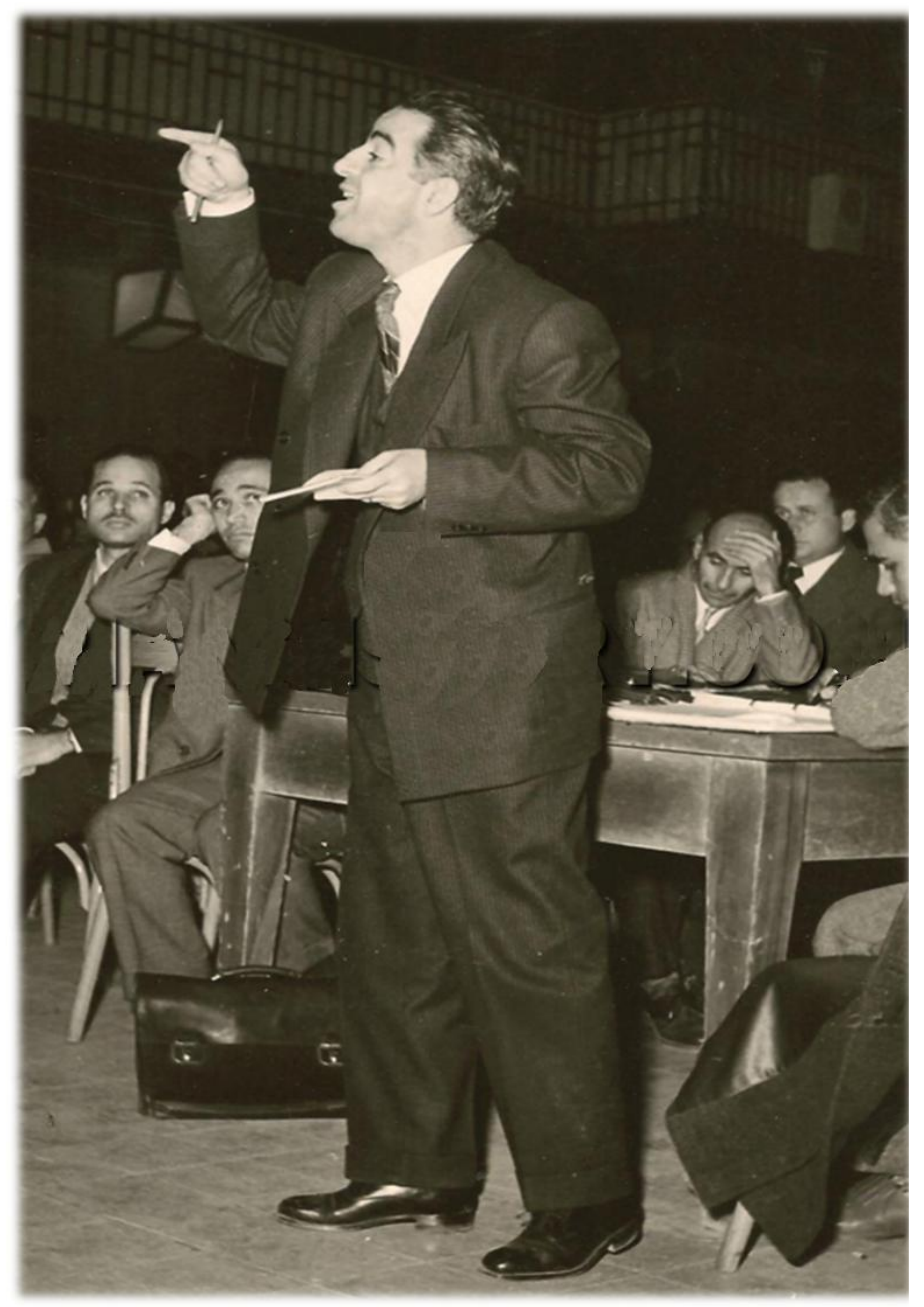
أيها الحفل الكريم

الكثيرون قد تأخذهم الدهشة عندما يسمعون كلامي هذا مستذكرين خصومات الماضي، إلا أنني أؤكد للجميع أنني قبل كتابة هذه السطور، وضعت يدي على قلبي وتركت قلمي يترجم همس الوجدان. ولعل تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي في الحكم في سورية والعراق وما آلت إليه، ألقت الضوء على شريط أحداث الماضي وعلى سيرة رفاقنا القياديين الذين رحلوا بالأمس، ونفتقدهم اليوم.

رحم الله الأستاذ أكرم الحوراني وطيب ثراه وألهم زوجته أم جهاد وكريماته الصبر الجميل، وندعو الله أن يأخذ بيد نجله الدكتور جهاد لكي يقدم لأمته ما تسمح به الظروف الصعبة من خدمات مفيدة وجهد مثمر.

والسلام عليكم
منصور سلطان الأطرش

عمّان ـ الأردن ـ مؤسسة شومان ـ
حفل تأبين المرحوم الأستاذ أكرم الحوراني
الأحد ٥ أيار/مايو ١٩٩٦



منصور الأطرش نائباً في المجلس النيابي ١٩٥٤ـ١٩٥٨ وإلى يمينه المحامي خليل كلاس ويبدو الأستاذان صلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني، وفي الوسط يبدو عبد الكريم زهور عدي. ويبدو في مقدمة الصورة الأستاذ سعيد الغزي.